وبيان ما ادعينا على لسان حال الناس انهم انما يتبعون غالبا الآبا والالف والعادة
وذلك هوى مجرد وقد يعدلون لبعض الاهوية الخاصة بهم يعطفون العقل والسمع الى ما
اقتضاه هواهم كما يقرّ به كل منصف اختبر هذه المذاهب الاسلامية وجميع الملل والنحل
بل الحجج الا الدنياوية وكل ما يعرض فيه الجدل وان كان بعضها قد لا يكون الحكم دينيا
لكنه يتهم صاحبه بعدم الانصاف وهو اصل الشر كله الا ترى ان الشرك انما نشأ لعدم الانصاف في
المشرك حيث وضع الاسمى في غير من هو له وكذلك الكذب والظلم وجميع القبائح منشؤه
لعدم الانصاف والانصاف هو الحق فمن عدل عنه فقد جعل تابعا وهو انما تبع الهوى فقد
جعل الحق تابعا للهوى وهذه الاية الكريمة ناعية على كل من لم ينصف في فعله فهو شريك المشركين
في اصل شرهم ولو كان ذلك حدّ له في الحصر ما ينبّا لله ولو اتخذ النظر السالمة
لا تحتمل شيئا البتة من عدم الانصاف وليس لسان العصبان هذا الشان والسلام قوله تعالى
ربنا غلبت علينا شقوتنا اعلم ان الاشاعرة على ان الشقاوة ازلية اقتضتها الارادة
القديمة لذاتها وليست بمترتبة على اختيار البارى تعالى ولا على اختيار العبد وكيف يترتب
الازلي على الاختيار التابع للافعال التي لا تكون الا حادثة بينة كما تقوله الاشاعرة وهذهم
وخلاف الماتريدية فيها ان لم يرجع الى اللفظ فلا نعقل مذهبهم اذ قولنا فعل ازلي مثاله قولنا
فعل ليس بفعل او ازلي ليس بازلي وعلى ما حكينا عن الاشاعرة ربت البيضاوي
تفسيره قال غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مودية الى سوء العاقبة
ولما اشتهر الخلاف بين الاشاعرة والماتريدية في السعادة والشقاوة فقالت الاشاعرة
بما حكينا وقالت الماتريدية بل يترتبان على اختيار العبد فيصح ان نوصفا بالتبدل
على معنى النظر الى ما العبد عليه في الحال الراهنة كما يوصف بالمطيع والعاصي والكافر
والذاكر حتى لو وصفناه باعتبار المآل الصح ان يجمع له الوصفين في بعض المكلفين
بالنظر الى حالتي دخوله النار ودخوله الجنة بعد ذلك وان نظرنا الى حالته التي هو
عليها هناك سميناه في النار شقيا وفي الجنة سعيدا ومذهب الماتريدية هو الحق وحديث
السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وحديث فيسبق عليه
الكتاب ونحوها معناهما معنى القدر وهي كقولنا من قدر شقيا فهو شقي ومن قدر سعيدا
فهو سعيد وقد حققنا في غير موضع ان القدر تابع للعلم التابع للمعلوم وصفة
افعال العباد من كونها يسعدهم ويشقيهم مترتبة على اختيارهم وما اوضح عبارة الآية
المقصود هنا لانه تكلم وهو يصلح مخاصم الاشاعرة في مسئلة السعادة والشقاوة
وعزب عليه ان موافقته للاشاعرة في مسئلة خلق الافعال توقعه في المناقضة ولعظم

هنا



هنا غلبت علينا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما هي عنده اضافتها الى انفسهم
وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كا
اعترافهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم
بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم
من السعادة والشقاوة الا ما علم انهم يعملون باختيارهم ضرورة ان العلم
تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار
وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون
الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا
ولما وعدوا الايمان بل قولهم وان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة واما الموعود
على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما احدا انما هي كلام ابي السعود رحمه الله واما
الرومناه المناقضة بنا على اعتذاره بالكسب قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون انكر عليهم امرين احدهما حسبان العبث جائزا عليه وهو مذهب نفاة
الحكم والعدل لهم الا قولهم هذه افعال الله كلها خالية عن المناسبة والعواقب المحمودة
والجواب النظر قوله ليس المناسب وغيره وبين محمود العاقبة وغيره خروجهم عن مذهبهم
وقولهم بالتحسين والتقبيح وهو اساس الحكم ام لا يعرفون فكلامكم نفوتم تنزله لكم هل
قصد سبحانه الى تلك المناسبات والعواقب المحمودة فهو اساس بالحسن والقبح وبالغرض
فقد ناقضتم مذهبكم ام تقولون لم يقصد وانما اتفق وقوع افعاله تعالى على هذه الحكم
البديعة بجوز وان يرجح وجود الاشيا على عدمها ويرجح وقوعها على حال دون
حال اتفاقي اذ هو غير ما ذهبتم اليه في هذه الحكم والعواقب فلا يكون لكم طريقا
الى اثبات الصانع الامر الثاني حسبانهم انهم لا يرجعون اليه تعالى في الآخرة وهو مبني
على المسئلة الاولى فمن عرف ان الله حكيم عدل وقد علم اختلاف حال العباد من محسن ومسيء
وظالم ومظلوم وكثيرا ما يموتون على ذلك علم انه لا بد من دار اخرى يقع فيها التناصف
والتجازي ومن نفى الحكمة لم يلزم ذلك عنده فكان الاول نافيا على نافي الحكمة من مدعي الاسلام
سورة النور قوله تعالى الزانية والزاني اعلم ان الالف واللام لا تؤثر في كمية مدخولها
انما حظها الاشارة الى ما اراد المتكلم فان اراد الحكم على جميع افراد الماهية فهو العموم
وان اراد الحكم على البعض معينا او مبهما فهو خصوص ويكون للاصول فاكل الرسل وهو
العهد وان اراد الماهية من حيث هي فهو الجنس والذي يعين احدها هو القرينة
ولذا نقول ان مدلول رجال والرجال سواء اذ كل منهما يصلح لكل الرجال ولبعض
الرجال ويكون الاطلاق على البعض حقيقة كالكل خلافا للعموم كمن دخل داري

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)